علينا ثابتاً من مسألة المشاركة الفلسطينية في مؤتمر جنيف ، وكان قبل ذلك قد جدد القتال على جبهة اسرائيل الشرقية .

ومن تكتيكات « سياسات الجوار » في مبدأ السياسة الواقعية ، جيء بالضغوط الحاسمة التي ألقيت على نقاد سوريا من العراقيين ، عن طريق الدعم الأميركي ـ الايراني للانفصاليين الاكراد ، كما وهددت الأزمة المتصاعدة في لبنان بالتدخل الاسرائيلي في « الخاصرة » السورية (موريس ، ١٩٧٧ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨) .

وقد بدأ موقع حسين يتآكل مع رفض اسرائيل لخطة اريحا في تموز ١٩٧٤ ومع تأجيل الموضوع في ايلول . من ثم استطاعت الدول العربية في قمة الرباط ، ومن دون أفق واضح لاجراء مفاوضات شاملة ، لأن تحمي حدودها السياسية بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل في المفاوضات عن الضفة الغربية وقطاع غزة، وهكذا وجد حسين « عميل العميل » نفسه مؤقتاً مدفوعاً إلى الوراء في صفوف المقايضة . وكانت موازنة كسنجر لمصالح الدولة ، تهدف إلى تأمين « الجبهة الشمالية » التي كان عبد الناصر قد سدها قبل سنوات .

الذي يمكن إنجازه الآن ، إذا أخذنا بالاعتبار الصورة الجديدة في الشرق الأوسط ، هو إعادة ترتيب موقع مصر مع باقي الزبائن العرب خطوة فخطوة . هذه الهندسة الستراتيجية استدعت حكماً ملحقة عن قابلية الثقافة والشخصية العربيتين لمثل هذه التحولات السياسات .

ويقي جهاز كسنجر من « الواقعيين » حذراً على العموم من أن عقود التوجه المعادي للامبريالية من خلال القومية العربية ، لن يذوي بين ليلة وضحاها ، لكن تقليداً أطول في الاستشراقية المدرسية الذي كان قد تطور على امتداد ثلاثة قرون ليخدم نظام الدولة الغربية المتوسع ، قدم مجموعة اكثر تنوعاً من التوقعات بالنسبة للسلوك العربي .

هذه الهندسة قد تخدم في مواجهة التضامن القومي العربي والوحدة الثقافية بالشكل الذي طرحهما ناصر .

وكان جلياً في سلوكية كسنجر في مواجهة العالم العربي أن ثمة آثاراً في الهندسة الادراكية ـ الحسية التي كان كتاب ادوارد سعيد « الاستشراقية » قد حددها . فالمواصفات التي نسبها كبار المدرسيين للعرب كانت تتضمن السمات الثقافية للشهوانية والذهنية الشاذة والطغيان والاعتلال المزمن والتخلف (سعيد ١٩٧٨ ص ٢٠١) ، وفي بيروقراطية الشؤون الخارجية ، حيث يجب عقلنة المصالح المتضاربة وتبرير الاجراءات القهرية ، يتم « شحذ واستثمار » هذه الصور والسمات على يد التفكير العرقي (ارندت ١٩٥١ ، ص ٦٣) . هذه الهندسات التي تجد أصلها في المدرسية الأوروبية العظمى ، وجدت طريقها إلى بيروقراطية الأمن القومي الاميركي عن طريق إشراف الحكومة على مراكز التدريب . فكما كان متوقعاً ، تم وصل المفاهيم المترابطة بالتعقيد البنيوي المطلوب والتقريرية الحديثة في العلوم الاجتماعية .

لكن بغض النظر عن التنصل الدفاعي ، فان النمط الأساسي الذي لم يكشفه سعيد ، واضح في محللي العلوم الاجتماعية المدربين والذين خدموا آلة السياسة الأميركية في الشرق الأوسط .